بسم الله الرحمن الرحيم

قصة عاشوراء

الحمد لله الذي خلق فسوى، وأسعد وأشقى، وحلل وحرم، وقدر فهدى، وقضى فأمضى، فلا ناقض لما أحكم وأبرم، ووهب فأغنى، وأعطى فأقنى، وأتحف وأكرم، ومنّ وتطوّل، وأنعم وتفضّل، ومن إنعامه شهر المحرم، جعله موسماً لاجتهاد العبّاد، ومغنماً لاكتساب الزهّاد، ومعلماً لقبول توبات العباد، فالعمل فيه أجره معظم، فطوبى لمن كان فيه من القانتين، وفوزاً لمن أقلع فيه فكان من التائبين، لأنه يوم تاب الله فيه على قوم ويتوب فيه على آخرين، فسبحانه ما أوسع عفوه، وأسبغ فضله، نحمده على ما أولى من العطايا، ونشكره على ما أسبغ من الهدايا،التي منها دخول الأوقات الفاضلة على البرايا،ليفيض من بركاتها على من يشاء ويعلم، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد الأحد المعبود، ذو الكرم والجود، الخالق الرازق المدبر لهذا الوجود، حكمته بالغة تبهر العقول فيما دبّر وأحكم، ونشهد أن نبينا محمداً عبده الذي أوضح الدلالة، ورسوله الذي بلغ الرسالة، ونبيه المنقذ من الضلالة، صلى الله عليه وعلى آله ذوي الشرف الأنيق، وعلى أصحابه أولى الصدق والتصديق، وعلى التابعين لهم بإحسان من كل فريق، ما دارت مواسم الخيرات التي ببركتها نفوز وننعم، وسلّم تسليماً ... أما بعد:

عباد الله: في ليلة من الليالي رأى فرعون رؤيا، فُسّرت بأن هلاكه وذهاب ملكه، سيكون على يد غلام يولد من بني إسرائيل، فاستشاط غضباً، وأصدر أوامره بذبح كل مولودٍ ذكر من بني إسرائيل، وأخذ يستخدم كبار رجالهم ونسائهم في الأعمال الشاقة ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ .

ولكن الله تعالى يريد غير ما يريد فرعون، ويقدّر غير ما يقدر الطاغية، والله يعلن إرادته، ويكشف عن تقديره، ويتحدى فرعون وهامان﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ

وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ .

ويولد موسى عليه السلام في هذه الظروف، والخطر محدق به، والموت يلتف عليه، وتحتار أمه، وترجف خشية أن يقتل، ويوحي إليها ربها ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ .

وإذا بفرعون يبحث لموسى عن المراضع، ويأتيه بهن واحدة بعد الأخرى حتى آل إلى أمه ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ﴾ ويتربى موسى في قصر فرعون تحت رعايته وإشرافه، وفرعون يوفر له كل احتياجاته ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ وتنتهي مدة الرضاع وفترة الصِّبا، ويبلغ موسى أشده، ويستوي عوده، ويكتمل نضجه، وبينما موسى يتجول في المدينة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ فأجمعوا أمرهم ليقتلوه، فنصحه ناصح بالخروج من البلاد ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ حتى دخل مدين وكانت قصة المرأتين، ثم عاد إلى مصر التي قتل فيها رجلاً بالأمس! مصر التي خرج منها خائفاً يترقب ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسَى﴾ وفي الطريق ﴿رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ فأتى موسى هذه النار فإذا هي نور عظيم، وعندها خير كثير ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ .

وبهذا نُبئ موسى عليه السلام، وأرسل حين قال له ربه ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ فسأل الله العون ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي﴾ فقال الله له ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي

* اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ فتمرد فرعون واستكبر وأخذته الحمية، والنفس الخبيثة الأبية، وقوي بأسه وتولى بركنه، وادعى ما ليس له، وتجرأ على الله وعتا وبغى.

ويبدأ موسى عليه السلام في دعوة فرعون وملئه، ويصر أولئك على الكفر والمعاندة، ويستمر موسى بالقول تارة، وبالحجة الباهرة أخرى، ويؤكد موسى وهارون عليهما السلام نبوتهما بالبراهين القاطعة، والمعجزات الظاهرة، لكن فرعون يصر على عناده ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ والله تعالى يحفظ رسوله موسى وأخاه هارون -عليهما السلام- ويحوطهما بعنايته، ويحرسها بعينه التي لا تنام، ولم تزل المحاجة والمجادلات والآيات تقوم على يدي موسى شيئا فشيئا، ومرة بعد مرة مما يبهر العقول ويدهش الألباب، ولا يأتي به إلا من هو مؤيد من الله، وفي الليلة الموعودة خرج موسى ببني إسرائيل، وعلم فرعون بخروجهم، فجمع الجموع وخرج في طلبهم ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ البَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ﴾ أي كالجبل العظيم، وصار البحر اثني عشر طريقاً لكل سبط طريق، وجاوز بنو إسرائيل، فلما خرج آخرهم كان فرعون قد انتهى إلى شاطئ البحر، فوقف متردداً أيعبر خلفهم؟ أم يرجع وقد كُفيهم؟ حتى إذا ادّاركوا في البحر جميعاً، جاءهم الموج من كل مكان، وجعل يرفعهم ويخفضهم، وتراكمت الأمواج فوق فرعون، وجاءته سكرة الموت فنادى ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ﴾ فقيل له ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ المُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ القَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾.

الخطبة الثانية:

عباد الله:

كان ذلك في يوم عاشوراء اليوم العاشر من شهر الله المحرم، فصامه موسى عليه السلام شكراً لله على النصر للمؤمنين، وصامه محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، ولا يزال المسلمون يتواصَوْن بسنة محمد صلى الله عليه وسلم بصيام هذا اليوم، ويرجون بره وفضله.

في (خ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجَّى اللهُ بني إسرائيل، من عدوهم فصامه موسى قال: فأنا أحقُّ بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه».

وفي رواية (م) قال: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكراً لله تعالى فنحن نصومه.

وقد قال صلى الله عليه وسلم بشأنه كما عند(م): «يكفر السنة الماضية وفي لفظ: صيام يوم عاشوراء إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله». وقد ندب النبي صلى الله عليه وسلم إلى صوم يوم التاسع مع العاشر، مخالفةً لليهود والنصارى، فعند (م) عن ابن عباس قال: «حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال: فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم».

عباد الله: نحن الآن في شهر الله المحرم وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم الترغيب في صيامه حيث قال كما عند (م): «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم».

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يُصوِّمون فيه صبيانهم تعويداً لهم على الفضل، ففي (خ) عن الربيع بنت معوذ قالت أرسل النبي صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من أصبح

مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم قالت: فكنا نصومه بعدُ ونُصوِّم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار.

عباد الله : اعلموا أن يوم عاشوراء لا يميز عن غيره من الأيام بفرح أو حزن، إذ إن هذا من صنيع الضالين والمبتدعين، فهو عند الرافضة – أذلهم الله - يوم مأتم وحزن، بحجة أنه اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي رضي الله عنه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن ذلك: فصارت طائفة جاهلة ظالمة، إما ملحدة منافقة، وإما ضالة غاوية، تتخذ يوم عاشوراء يوم مأتم وحزن ونياحة، وتظهر فيه شعار الجاهلية، من لطم الخدود، وشق الجيوب، والتعزي بعزاء الجاهلية، وإنشاد قصائد الحزن، ورواية الأخبار التي فيها كذب كثير، والصدق فيها ليس فيه إلا تجديد الحزن والتعصب، وإثارة الشحناء والحرب، وإلقاء الفتن بين أهل الإسلام، والتوسل بذلك إلى سب السابقين الأولين، وشر هؤلاء وضررهم على أهل الإسلام، لا يحصيه الرجل الفصيح في الكلام. اهـ

فاحتسبوا عباد الله، وارغبوا في صيام عاشوراء، رجاء أن تشملكم رحمة الله ومغفرته، وجددوا لله تعالى التوبة في كل حين.